الحق الثالث والثلاثون

حق العامل والخادمِ والمملوك

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق الثالث والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق العامل والخادم والمملوك.**

عباد الله! الإسلام دينٌ عظيمٌ أعطى كل ذي حقٍ حقه، حتى أنه أعطى للعامل حقه، وللخادم حقه، وللمملوك -سواءٌ كان أدمياً أو بهيمياً- حقه فالحمد لله على نعمة الإسلام والسُّنة.

عباد الله! أما حق العمال والخدم علينا معشر المسلمين فهو:

أولاً: أن نرحمهم.

من استخدم منكم عاملاً أو خادماً عنده فليرحمه؛ استجابة لقوله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء**»[1].

ولقوله ﷺ: «**من لم يرحم الناس لم يرحمه الله**»[2].

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٧٦)، وفي «السنن» (٩/ ٤١)، [«صحيح الجامع» (٣٥٢٢)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٤)].

ولقوله ﷺ: «**من لا يرحم من في الأرض، لا يرحمه من في السماء**»[١].

فليتق الله كل منا في العمّال والخدّام الذين يعملون عندهم.

ثانياً: أن يعطيهم أجرهم كاملاً.

عباد الله! من استخدم منكم عاملاً أو خادماً فليتق الله فيه، وليعطه أجره كاملاً قبل أن يجف عرقه.

• استجابة لقوله ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»[٢].

عباد الله! وقد حذر النبي ﷺ الذي يمنعون الأجير أجره ويأكلون أجرة العامل.

• فقال ﷺ: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً -وهذا هو الشاهد- فاستوفى منه ولم يعطِهِ أجره**»[٣].

• وقال ﷺ: «**إن من أعظم الذنوب عند الله رجلٌ تزوج امرأةً فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً -أي في العمل- فذهب بأجرته -أي: جحدها فلما يعطه أجرته- ورجل يقتل دابة عبثاً**»[٤].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٥)].

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢٤٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٤٣)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٤٢)، و«مسند الشهاب» (١/ ٤٣٣)، [«صحيح الجامع» (١٠٥٥)].

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٢١٥٠).

(٤) **حسن**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٨)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٢٤١)، [«صحيح الجامع» (١٥٦٧)].

فليتق الله الذين يأكلون أجر العمّال والخدّام؛ فإن ذلك من أعظم الذنوب عند الله يوم القيامة.

عباد الله! إعطاء العامل والأجير والخادم أجره من أعظم أسباب النجاة من الكروبات، ومن أسباب إجابة الدعاء. ومن الأمثلة على ذلك: الثلاثة الذين دخلوا الغار وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فتوسل الأول ببره لوالديه، وتوسل الثاني بتركه للزنى بعد أن قدر عليه.

• أما الثالث فتوسل بإعطائه أجر الأجير يقول هذا الرجل: «اللهم إني استأجرت أُجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ، ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدِّي إليّ أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

ثالثاً: ومن حق العمال والخدم علينا معشر المسلمين أن لا نظلمهم، وذلك:

•لأن الظلم حرام، قال ﷺ: «**قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم محرماً فلا تظالموا**»[2].

• لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٢١٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٧٧).

قال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(١).

• ولأن الله -عز وجل- يستجيب دعوة المظلوم إذا دعا على من ظلمه.

قال ﷺ: «**ثلاثة تستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم**»(٢).

• وقال ﷺ: «**دعوة المظلوم وإن كان فاجراً ليس دونها حجاب**»(٣).

• وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**»(٤).

• وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله -عز وجل-: وعزتي وجلالي لأنصرنَكِ ولو بعد حين**»(٥).

يا من تظلمون العمال والخدم! اسمعوا ماذا يقول رب العزة للظلمة مهدداً ومخوفاً، يقول الله -عز وجل-: ﴿**وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾**﴾ [الشعراء:٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾**﴾ [غافر:٥٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ**﴾ [إبراهيم:٤٢].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٧٨).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن خزيمة في صحيحة (٤/ ١١٣)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٠)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٣٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٤٩)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٣)، و«مسند الشهاب» (٢/ ٩٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٣)، [«صحيح الجامع» (١١٨)].

(٥) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٤)، و«مسند الشهاب» (١/ ٤٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣٠)].

أيها الظالم للعامل والخادم!

لا تظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدراً فــالظلم يرجــع عقبــاه إلى النــدم
تنــام عينـــاك والمظلـــوم منتبـــه يــدعو عليــك وعــين الله لم تــنم

أيها الظالم للعامل والخادم!

إلى ديـــان يـــوم الـــدين تمـــضي وعنـــد الله تجتمـــع الخـــصوم

ويقول المظلوم: يا رب خذ لي حقي من هذا الظالم؛ لما منعني حقي في الدنيا؟!

أيها الظالم!

أمـــا والله إن الظلـــم شـــؤم ومـــازال المـــسيء هـــو الظلـــوم
ســـتعلم يـــا ظلـــوم إذا التقينـــا غـــداً عنـــد المليـــك مـــن الملـــوم

عباد الله! وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في التعامل مع العامل والخادم.

• تقول عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأةً ولا خادماً ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله»[1].

• ويقول أنس رضي الله عنه: «... ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قطُّ: أفٍّ، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعلْهُ: ألا فعلت كذا؟»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٣٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٣٠٩).

فتعلموا عباد الله كيف نتعامل مع العمال والخدم.

-ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم.

قال: «**كل يومٍ سبعين مرةً**»[1].

عباد الله! في الوقت الذي أمرنا الشرع الحكيم بالإحسان وإعطاء الحقوق للعامل والخادم، فقد حذرنا من أن يكون العامل والخادم سبباً لهلاك الإنسان وهلاك أسرته.

- وذلك يا عباد الله! بسبب الخلوة والتبرج الذي يقع من العاملة أمام صاحب العمل، أو من الخادمة أمام صاحب البيت، أو من العامل فليتق كل منا في بيته وفي نفسه، فلا يخلو بالموظفة في مكتبه،أو في عيادته، أو في بيته، فهناك يكون الشر.

- وكذلك السائق لا يخلو بزوجة صاحب العمل أو ابنته، فهذا اختلاط وهذه خلوة وكله حرام، وهنا يقع الشر، وكذلك من يترك ابنه مع الخادمة في البيت فهنا يكون الشر والدمار.

• فالله عز وجل يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ**﴾ [الأحزاب:٥٣].

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٥١٦٤)، والترمذي (١٩٤٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١١)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٨٩)].

• وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ -وهم أقارب الزوج- قال: «**الحمو الموت**»[(١)].

• ويقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**»[(٣)].

ويقول بعض الصالحين: (لو ائتمنوني على ملء الأرض ذهباً لأتمنت، ولو ائتمنوني على جارية سوداء دميمة ما ائتمنت عليها). فالمرأة فتنة، فليتق الله كل منا في حق العامل والخادم.

عباد الله! أما حق المملوك إن كان آدمياً كالعبد والأمة فعلينا:

أولاً: أن نتق الله فيهم.

استجابة لقوله ﷺ في آخر كلامه: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٣٤)، و«مسلم» (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٨٠٨)، و«مسلم» (٢٧٤٠).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٤٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٨٤)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ١٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٧٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٤) **صحيح**: رواه أبوداود (٥١٥٦)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٥٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٤٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٣٧٠)، والسنن (٨/ ١١)، [«صحيح الجامع» (٤٦١٦)].

وتقول أم سلمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي تُوفي فيه: «**الصلاة، وما ملكت أيمانكم**» فما زال يقولها ما يفيض لسانه[1].

• وقال ﷺ في أنفاسه الأخيرة: «**اللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم**»[2].

ثانياً: أن نُطعمهم ونكسوهم، ونكلفهم من العمل ما يطيقون.

• قال ﷺ: «**للمملوك طعامه وشرابه وكسوته، ولا يكلف إلا ما يطيق، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا تعذبوا عباد الله؛ خلقاً أمثالكم**»[3].

وقال أبو ذر للمملوك: يا ابن السوداء. فقال النبي ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»، ثم قال ﷺ لأبي ذر: «**إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم؛ فأعينوهم**»[4].

ثالثاً: أن لا نظلمهم ولا نعتدي عليهم بالضرب، فالله سائلُنا عنهم يوم القيامة.

• عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمت صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود!» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٢٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٧٩)، و«مسند أبي يعلى» (١٢/ ٣٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٨٦)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٨٨)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ١٥٢)، [«صحيح الجامع» (٥١٩٢)].

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣٠)، و«مسلم» (١٦٦١).

مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود! أن الله تعالى أقدر عليك مِنك على هذا الغلام**»، فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً[١].

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال ﷺ: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار**»[٢].

• أتى رجلٌ ابن عمر وقد أعتق مملوكاً له، فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال: مالي فيه من الأجر ما يساوي هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من لطم مملوكاً له أو ضربه؛ فكفارته أن يعتقه**»[٣].

• قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب مملوكه ظلماً؛ أُقِيدَ -أي: اقتص- منه يوم القيامة**»[٤].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ فقعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

فقال رسول الله: «**إذا كان يوم القيام يُحسب ما خانوك وعصوكَ وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم؛ كان كفافاً، لا لك ولا**

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٦٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٦٥٩).

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٦٥٧).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» في «الأدب المفرد» (١٨١)، ومسند البزار (٤/ ٢٣٦)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (٩/ ٤٤٥)، وأبونعيم في «الحلية» (٤/ ٣٧٨)، [«صحيح الجامع» (٦٣٧٦)].

عليك، (وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم؛ كان فضلاً لك) وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم؛ اقتصَّ لهم منك الفضل».

(قال:) فتنحى الرجل وجعل يبكي ويهتف -أي: يصيح-.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما تقرأ قول الله**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فقال الرجل: (والله) يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء (شيئاً) خيراً من مفارقتهم، أُشهدك أنهم أحرار كلهم[1]. فأعتق العبيد الذين عنده؛ حتى لا يُسأل عنهم يوم القيامة.

عباد الله! أما حق المملوك البهيميِّ على المسلمين فهو:

أولاً: أن يُحسِنوا ذبحه إذا ذبحوه؛ استجابة لقوله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحِدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**»[2].

هذا هو ديننا أمة الإسلام، فالذين يقولون ديننا لا رحمة فيه. فها هو يرحم حتى الحيوانات! ولا يجيز لك أن تعذب وأن تمثل حتى في أرض المعركة.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٦٥)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٢٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٣٧٧)، [«صحيح الجامع» (٨٠٣٩)].

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٩٥٥).

ثانياً: أن يتقوا الله فيها؛ في طعامها وشرابها وحِمْلها.

•مرّ رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحةً، وكلوها -أي: اتركوها وانزلوا عنها- صالحةً**»[1].

• ودخل رسول الله ﷺ حائطاً -أي: بستاناً- لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفتْ عيناه، فأتاه سول الله ﷺ فمسح ذفراه، فسكت، فقال: «**من رَبّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟** ».

فجاء فتى من الأنصار فقال: لي رسول الله! فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه شكا إلي أنك تُجيعه وتُدْئبهُ**» -أي: تتعبه[2].

الله أكبر! ما أعظم هذا الدين؛ حتى الحيوان أعطاه حقه، وأمرنا برحمته!

ثالثاً: أن لا يعتدوا عليها ولا يُعذبوها.

• عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فانطلق لحاجته، فرأينا حُمّرةً -وهي طائرٌ صغير كالعصفور- معها فرخان فأخذنا فرخيها،

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١٤٣)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٣٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٩٦)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٣٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٧٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أبوداود (٢٥٤٩)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٩)، و«مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٥٧)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣)، وأبونعيم في «الحلية» (١/ ١٦٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٩)].

فجاءت الحُمّرَة فجعلت تفرّش -أي: ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض-، فجـاء النبـي ﷺ فقـال: «**مـن فجـع هـذه في ولـدِها؟! ردوا ولـديها إليهـا**» -رحمة بالطائر-.

ورأى قرية نملٍ قد حرَّقناها -فقال: «**من حرق هذه؟** » قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يعذبَ بالنار إلا ربُّ النار**»[1].

• وقال ﷺ: «**ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقِّها، إلا سـأله الله عنها يوم القيامة**».

قيل: يا رسول الله! وما حقها؟

قال: «**حقها أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي به**»[2].

كم من إنسان لا رحمة عنده إذا اصطاد عصفور يقطع رأسه ولا يأكله وهـذا حرام. فليتق الله من يفعل ذلك؛ فإن الله سائله يوم القيامة.

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أضجع شاةً وهو يُحُدُّ شفرته، فقال النبـي ﷺ: «**أتريد أن تُميتها موتات؟! هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟!**)[3].

---

(١) **صـحيح**: رواه أبـوداود (٢٦٧٥)، وأحمـد في «مـسنده» (١/ ٤٠٤)، والحـاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٢)، والطيالسي في «مـسنده» (٣٣٦)، [«صـحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٨)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٤٣٤٩)، و«مسند الشافعي» (١٤٨٣)، و«مسند الطيالـسي» (٢٢٧٩)، وعبـدالرزاق في «مـصنفه» (٤/ ٤٥٠)، والبيهقـي في الـسنن (٩/ ٢٧٩)، [«صـحيح الترغيـب والترهيب» (١٠٩٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجـه الحـاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٧)، وعبـدالرزاق في «مـصنفه» (٤/ ٤٩٣)، [«صحيح الجامع» (٩٣)].

• وقال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النار في هرّةٍ ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[١].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من الذين يؤدون الحقوق إلى أصحابها.

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣١٤٠) واللفظ له، و«مسلم» (٢٦١٩).

الحق الرابع والثلاثون

حق الدعوة إلى الله

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق الرابع والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق الدعوة إلى الله -تعالى-**.

عباد الله! • الدعوة إلى الله -تعالى- من أحسن الأعمال ومن أجل القربات إلى الله -تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

• الدعوة إلى الله -تعالى- عمل الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦]

• الدعوة إلى الله -تعالى- عمل هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

• الدعوة إلى الله -تعالى- من أجل صفات المؤمنين الصادقين.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١].

عباد الله! الدعوة إلى الله -تعالى- هي العلاج الوحيد، والدواء النافع للأمة الإسلامية في هذا الزمان، وذلك لأن الناظر إلى الأمة الإسلامية يجد أنها أصيبت بالأمراض التالية:-

المرض الأول: الذل والهوان: وسببه الذنوب والمعاصي، وعلاجه: الرجوع إلى الدين. والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه -عنكم- حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

في هذا الحديث شخَّص لنا رسول الله ﷺ المرض الذي أصاب الأمة، وهو الذل. وبيّن لنا سببه وهو: الذنوب والمعاصي «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر**»: -أي: أكلتم الربا- «**ورضيتم بالزرع**» كناية عن حب الدنيا والركون إليها ونسيان الآخرة، «**وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً**» وهذا هو الداء، وعلاجه: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**».

المرض الثاني: التفرق والاختلاف الذي أدى إلى ضعف الأمة، وسببه: الحزبية البغيضة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ كل حزبٍ يدعو إلى حزبه،

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٣٤٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٨٤)، والبيهقي في السنن (٥/ ٣١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٣٢٨)، [«صحيح الجامع» (٤٢٣)].

ويعادي من أجل الحزب، ويحب من أجله. وعلاج هذا المرض: هو أيضاً الرجوع إلى الدين.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣] وحبل الله: هو الدين، هو الإسلام.

• وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

المرض الثالث: كثرة القتل والتفجير والتدمير الذي أدى إلى غياب الأمن في كثيراً من البلاد الإسلامية، وسببه: انتشار فكر التكفير في الأمة، وعلاجه: الرجوع إلى الدين وفهمه فهماً صحيحاً.

الدليل على ذلك: لما خرج الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ –عندما فهموا الإسلام فهماً خاطئاً– ذهب إليهم عبدالله بن عباس ﵄ وردهم إلى فهم الإسلام فهماً صحيحاً –كما فهمه الصحابة ﵃– فرجع منهم أربعة آلاف.

• والذين خرجوا إلى الحج يحملون فكر الخوارج في عقولهم ويريدون أن يخرجوا على الحجاج في الحج، فمروا بالمدينة وجلسوا في مجلس علمٍ لجابر بن عبد الله ﵄ –في مسجد رسول الله ﷺ– فلما جلسوا وفهموا الإسلام من هذا الصحابي فهماً صحيحاً رجعوا عن فكرهم جميعاً.

عباد الله! أمراض أصيبت الأمة بها ولا يختلف في ذلك اثنان. فالرجوع إلى الدين وفهمه فهماً صحيحاً هو العلاج الوحيد والدواء النافع للأمة الإسلامية.

عباد الله! ولا يمكن للأمة أن ترجع إلى دينها إلا بالدعوة إلى الله على منهاج النبوة.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾**﴾ [يوسف:١٠٨].

والدعوة إلى الله تقوم على أربعة أصول:

الأصل الأول: موضوع الدعوة (وهو الإسلام الصحيح) الذي جاء به جبريل عليه السلام من عند ربه إلى محمد ﷺ، فبلغ النبي ﷺ هذا الدين إلى الصحابة، والصحابة بلغوا إلى من بعدهم هذا الدين. هذا هو الإسلام الذي يجب على الأمة أن ترجع إليه، لا أن ترجع إلى الإسلام كما فهمته الخوارج أو الرافضة، ولا إلى الإسلام كما يفهمه الحزبيون والحركيون! لا، بل ترجع إلى الإسلام الذي جاء به جبريل فعلّمه للنبي ﷺ، فَعلّمهُ ﷺ للصحابة رضي الله عنهم.

الأصل الثاني: الداعي إلى الله.

الأصل الثالث: المدعو إلى الله.

الأصل الرابع: أساليب ووسائل الدعوة إلى الله.

عباد الله! بالدعوة إلى الله على منهاج النبوة تقل الذنوب والمعاصي، وهذا علاج للمرض الأول.

بالدعوة إلى الله على منهاج النبوة تتلاشى الحزبية بيننا، وهذا علاج المرض الثاني.

بالدعوة إلى الله على منهاج النبوة يذهب فكر التكفير من الأمة ولا يعود. وهذا علاج للمرض الثالث.

عباد الله! الدعوة إلى الله -تعالى- على منهاج النبوة لها حقوقٌ كثيرةٌ على الدعاة إلى الله منها:

أولاً: الإخلاص في دعوتهم إلى الله -عز وجل- استجابة لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ**﴾.

ولقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ**﴾.

ولقوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾**﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

فليتق الله الذين يدعون الناس إلى التعصب الحزبي، فإنهم فرقوا الأمة! وليتق الله الذين يدعون الناس إلى التعصب إلى جماعة أو شخص أو اسم، يعادون ويُوالون من أجله ويعطون ويمنعون من أجل هذه الجماعة!

والله عز وجل يقول: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾**﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

وقال ﷺ: «**من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جِثي جهنم**».

قال رجلٌ: يا رسول الله! وإن صام وصلى؟

قال: «**نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله**»[1].

عباد الله! والدعوة إلى التعصب الحزبي دعوة جاهلية، والدعوة إلى التعصب إلى جماعةٍ أو إلى شخصٍ أو إلى اسم من دعوى الجاهلية، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم. والرسول ﷺ يقول: لما حدث ما حدث بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع: «**ما بال دعوى الجاهلية**»؟

قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار.

فقال ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»[2].

• معشر الدعاة إلى الله! الإخلاص! الإخلاص في الدعوة إلى الله! فادعوا الناس إلى الله، إلى دين الله، إلى عبادة الله، إلى الصراط المستقيم، إلى رضا الله والجنة كما دعاهم الرسول ﷺ، واحذروا أن تدعوا الناس إلى العصبية الجاهلية المنتنة، فالله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿**وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾ [القصص:٨٧]، وقال تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾ [النحل:١٢٥].

ثانياً: ومن حق الدعوة إلى الله على الدعاة: أن يقوموا بها على علم.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ١٢٤)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٧٢)، والطيالسي في «مسنده» (١١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٧)، [«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٦٢٢)، و«مسلم» (٢٥٨٤).

-استجابة لقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ**﴾ [يوسف:١٠٨].

ولقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢**﴾ [التوبة:١٢٢].

فانظروا عباد الله! جعل الله الإنذار والدعوة بعد العلم والتفقه، أما من دعا قبل أن يتعلم فإنه يفسد أكثر مما يصلح.

وقال ﷺ: «**نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يُبلغه غيره...الحديث**»(١).

فانظروا عباد الله! جعل النبي ﷺ التبليغ والدعوة إلى الله بعد السماع للعلم وحفظه.

• ولما أرسل النبي ﷺ الدعاة إلى اليمن لدعوة الناس، أرسل أهل العلم والفقه من أصحابه: كمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

عباد الله! فعلى الدعاة إلى الله أن يتقوا الله في الناس، ويدعوهم على علم؛ لأن الذي يدعو ويفتي بغير علم يقتل نفسه ويقتل غيره، ويدمر أمته، والدليل على ذلك:

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٧٣)، [«صحيح الجامع» (٦٧٣٦)].

١ - الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، قتل نفساً بسبب الفتوى بغير علم.

٢ - الذين أفتوا للرجل بعدم التيمم، فقتلوه مثل: الرجل الذي جُرح في السفر مع الصحابة.

فعن جابر رضي الله عنهما قال: خرجنا في سفرٍ، فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا إلى رسول الله ﷺ أُخبر بذلك، فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم**»[1].

٣- ومن دعا بغير علم ضر الأمة.

قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئِلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[2].

ثالثاً: ومن حق الدعوة إلى الله على الدعاة: أن يدعو الناس بالحكمة واللين والتيسير والتبشير.

• استجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾.

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٠)، والدارمي في «سننه» (١/ ٢١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨٥)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٢٢٧)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٠)، و«مسلم» (٢٦٧٣).

ولقوله ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما عندما أرسلهما إلى اليمن: «**بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(١).

فعلى الداعي إلى الله أن يدعو الناس بالحكمة واللين، وعليه أن يبشر المسلمين ولا ينفرهم، وييسر عليهم ويبشرهم بأن المستقبل للإسلام فالله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾**﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾**﴾ [آل عمران:١٥٩].

رابعاً: وحق الدعوة إلى الله على الدعاة: أن يتخلقوا في دعوتهم بالأخلاق الحسنة -أي: يعملوا بعلمهم أمام الناس ولا يخالفوا بفعلهم أقوالهم- فإن هذا من أقبح الأخلاق.

• استجابة لقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿**وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾**﴾ [هود:٨٨].

فإن الداعي إذا لم يعمل بعلمه ضر نفسه وحرمها الأجر، والله يمقت ذلك.

قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾**﴾ [البقرة:٤٤].

وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾**﴾ [الصف:٢-٣]

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٢٨٧٣)، و«مسلم» (١٧٣٣).

• **عباد الله!** والداعي إلى الله إذا خالف بفعله قوله فشل في دعوته، وانفضّ الناس من حوله، وعذّبه الله عز وجل في النار.

قال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه**»[1].

خامساً: ومن حق الدعوة إلى الله على الدعاة: أن يصبروا على دعوتهم ولا يستعجلوا؛ فالله -عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿**فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

ويقول الله -عز وجل- لرسوله ﷺ: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه:١٣٢].

فالدعوة تحتاج إلى صبر، وإلى أخلاق حسنة.

وقال تعالى على لسان لقمان: ﴿**يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧**﴾ [لقمان:١٧]

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم للدعوة إلى الله، على بصيرة. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣٠٩٤)، و«مسلم» (٢٩٨٩).

الحق الخامس والثلاثون

حقُ العِرضِ

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق الخامس والثلاثون من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حقُّ العرض.**

عباد الله! والعِرض هو: موضع المدح والذّم من الإنسان، سواءٌ كان في نفسه أو سَلَفِهِ أو من يلزمه أمره. وقيل هو: جانبه الذي يصونه من نفسه وحَسَبِهِ ويحامي عنه أن يُنتقص أو يُثلب[(١)].

عباد الله! والإسلام دين الله العظيم، جاء ليحافظ على الأعراض ويُحرِّم الاعتداء عليها، قال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعِرضه**»[(٢)].

وقال ﷺ في حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكَّر ووعظ: «**... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**»، ثم قال: «**ألا هل بلَّغت؟ ألا هل بلَّغت؟**»، قلنا: نعم. قال: «**اللهم اشهد**»[(٣)].

عباد الله! والاعتداء على الأعراض يكون بالغيبة والسب والقذف والزنا؛ فحفاظاً على الأعراض حرم الله الغيبة:

---

(١) انظر «لسان العرب».

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٦٥٢)، و«مسلم» (١٦٧٩).

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢].

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»(١).

ولذلك قال ﷺ: في حق الذي يرد الغيبة عن أخيه: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(٢).

وحفاظاً على الأعراض حرّم الله السب:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال ﷺ: «**سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(٣).

٣- وحفاظاً على الأعراض حرّم الله القذف:

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٤٨٨٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢٠)، و«مسند أبي يعلى» (٣/ ٢٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٠٨)، والسنن (١٠/ ٢٤٧)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١١١)، [«صحيح الجامع» (٦٢٦٢)].

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٨)، و«مسلم» (٦٤).

فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور:٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور:٢٣-٢٥].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**».

قالوا: وما هنّ يا رسول الله! فذكرها وعدّ منها: «**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

٤- وحفاظاً على الأعراض حرّم الله الزنا.

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾ [الإسراء:٣٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [النور:٣].

وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1].

وقال ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**».

قالوا: حرامٌ حرّمه الله ورسوله، فهو حرامٌ إلى يوم القيامة، فقال رسول الله: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوةٍ؛ أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٢٣٤٣)، و«مسلم» (٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٦)، و«الأوسط» (٦/ ٢٥٤)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠٤)].

٥- وحفاظاً على الأعراض فقد أوقع الله العقوبة على الزُناة في الدنيا أمام الناس وفي الآخرة عذاباً أليماً.

• ففي الدنيا قال تعالى: **﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾** [النور:٢].

هذا إذا كان الزاني بكراً -أي: لم يسبق له الزواج- أما إذا كان محصناً -أي: سبق له الزواج- فالرجم حتى الموت.

• عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «أن رجلاً من أَسلَمَ أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه قد زنا، فشهد على نفسه أربع شهاداتٍ، فأمر به رسول الله فرُجم وكان قد أُحصن»[١].

• أما عذابهم بعد الموت: -أي: في القبر- فقد جاء في حديث الرؤيا الطويل أن رسول الله ﷺ قال: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيقٌ، وأسفله واسعٌ، فيه لغطٌ وأصوات، قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، فإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا** -أي: صاحوا من شدة حره- **فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني** -يعني: من الرجال والنساء- **هذا عذابهم إلى يوم القيامة**»[٢].

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٤٢٩).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٣٢٠).

• أما يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩].

وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائلٌ مستكبر**»(١).

كل ذلك يا عباد الله! للمحافظة على الأعراض.

• **عباد الله!** والعِرض الذي نقصده ونتكلم عنه اليوم، هو العِرض الـذي إذا وقع فيه الزنا. طأطأ الرؤوس، وسوَّد الوجوه، وأخرس الألسنة. العرض الذي نقصده هو زوجتك، ابنتك، أختك، أمك. وهذا العرض له حقوق كثيرة علينـا لنحافظ عليه من التلوث بفاحشة الزنا وهذه الحقوق هي:

الحق الأول: أن نَغَارَ عليه.

يجب على المؤمن أن يغار على عرضه ليُحافظ عليه من فاحشة الزنا، فالذي لا يغار على عرضه ديوث، والغيرة من ديننا.

• كما قال ﷺ: «**المؤمن يغار والله أشد غيراً**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٠٧).

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٧٦١).

• وقال سعد بن عبادة ﵁: «لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته مُصفّح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعدٍ؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجلِ غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»(١).

• وقال ﷺ: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرّم عليه**»(٢).

• وقال ﷺ في خطبته في صلاة الكسوف: «**يا أُمّة محمد! والله إنه ما أحدٌ أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمدٍ! والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ثم رفع يديه وقال: اللهم هل بلغت؟**»(٣).

عباد الله! ومن الأمثلة على الغيرة:

١ - سعد بن عبادة ﵁. فقد قال النبي ﷺ: «**أتعجبون من غيرة سعد**».

يقول ابن عباس ﵄ لما نزلت: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤**﴾ [النور:٤].

قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا أُنزلت يا رسول الله؟

فقال ﷺ: «**يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم؟**».

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٩٨٠)، و«مسلم» (١٤٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٢٥)، و«مسلم» (٢٧٦١).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٩٩٧)، و«مسلم» (٩٠١).

قالوا يا رسول الله لا تلمه فإنه رجلٌ غيورٌ، والله! ما تزوج امرأةً قط إلا بكراً، وما طلق امرأة له قط فاجترأ رجلٌ منا على أن يتزوجها من شدة غيرته ...»[١].

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**رأيتُني دخلت الجنة**» إلى أن قال «**ورأيت قصراً بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر. فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيْرَتك**»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله! أعليك أغارُ؟»[٢].

٣- ويقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، وفينا فتى حديث عهدٍ بعرسٍ، فجعل يستأذن رسول الله ﷺ أثناء النهار ليرجع لأهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ عليك سلاحك، فإني أخاف عليك قريظة**».

فأخذ سلاحه ورجع فإذا امرأته قائمة بين البابين فأصابته الغيرة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها.

فقالت: اكفف عليك رمحك! وادخل الدار؛ فانظر ما الذي أخرجني! فدخل الدار فإذا حيةٌ عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح -أي ضربها- ثم خرج مركز رمحه في الدار، فعدت عليه الحية فلم ندر أيهما أسرع موتاً الحية أم الفتى؟!

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٣٨)، والطيالسي في «مسنده» (٢٦٦٧)، و«مسند أبي يعلى» (٥/ ١٢٤)، والبيهقي في السنن (٧/ ٣٩٤)، [«الموسوعة الحديثية»]

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣٤٧٦)، و«مسلم» (٢٣٩٥).

فجئنا رسول الله ﷺ فأخبرناه ... فقال: «**استغفروا لصاحبكم**»، ثم قال ﷺ: «**إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان**»[1].

أين الغيرة على الأعراض يا عباد الله؟!

الحق الثاني: أن نحافظ عليه.

عباد الله! عرضنا (كالزوجة والابنة والأخت والأم) يجب علينا أن نحافظ عليه من أن يتلوث بفاحشة الزنا، ويكون ذلك بما يلي:

أولاً: بالقرار في البيت.

- استجابة لقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ وذلك لأن المرأة فتنة عظيمة للرجال.

قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرُّ على الرجال من النساء**».

والمرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان.

والمرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان.

فعلى العاقل أن يحافظ على عرضه بالقرار في البيت فلا تخرج من بيتها إلا لضرورة.

ثانياً: بالحجاب الشرعي.

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٢٣٦).

استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

ولقوله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩].

وهذا الجلباب الشرعي الذي يحبه الله ورسوله، يجب أن تتوفر فيه هذه الشروط التالية:

الشرط الأول: أن يستر جميع البدن.

الشرط الثاني: أن يكون واسعاً لا يصف.

الشرط الثالث: أن يكون سميكاً لا يشف.

الشرط الرابع: أن لا يكون زينة في نفسه.

الشرط الخامس: أن لا يكون مطيباً ولا مبخراً.

الشرط السادس: أن لا يُشبه لباس الكفار.

الشرط السابع: أن لا يشبه لباس الرجال.

الشرط الثامن: أن لا يكون لباس شهرةٍ.

فليتق الله كل منا في جلباب زوجته، وابنته، وأخته؛ استجابة لله ولرسوله ﷺ.

ثالثاً: بعدم الاختلاط بالرجال الأجانب؛ استجابة لقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣].

واستجابة لقوله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟

قال: «**الحمو الموت**»[(١)].

رابعاً: بعدم الخلوة والاقتراب من الرجل الأجنبي.

قال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[(٢)].

وقال ﷺ: « **لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**»[(٣)].

وقال بعض الصالحين: (لو ائتمنوني على ملء الأرض ذهباً لائتمنت، ولو ائتمنوني على جارية سوداء دميمة، ما ائتمنت عليها).

وذلك يا عباد الله! لأنه إذا اقتربت المرأة من الرجل، واقترب الرجل من المرأة، كان الشر والدمار.

ففي داخل المسجد وفي الصلاة إذا اقترب الرجل من المرأة كان الشر، فما بالنا بالخلوة في السيارة، وتحت الأشجار وهنا وهناك.

يقول ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (١١٠)، و«مسلم» (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٣٥)، و«مسلم» (١٣١٤).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص١١٥) هامش (١).

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٤٤٠).

خامساً: بعدم سفر المرأة وحدها حتى للحج والعمرة، قال ﷺ: «**لا يحل لمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم**»[1].

الحق الثالث: أن تدافع عنه.

عباد الله! أوجب الإسلام على الرجال أن يحافظوا على أعراض نسائهم، لدرجة أن من يُقتل مدافعاً عن عرض أهله يعتبر شهيداً، قال رسول الله ﷺ: «**من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»[2].

أما الديوث الذي يرى السوء في أهله، ثم يسكت ولا يدفعه، فقد عاقبه الشرع.

قال ﷺ: «**ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق والديه، والمرأة المترجلة المتشبه بالرجال، والديوث**»[3].

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٠٣٨)، و«مسلم» (١٣٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبوداود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٩٠)، والبيهقي في السنن (٣/ ٢٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (٢/ ٣١٠)، [«صحيح الجامع» (٦٤٤٥)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٢٥٦٢)، وفي «الكبرى» (٢/ ٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٠٢)، والبيهقي في السنن (٨/ ٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٤٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٧١)].

الحق السادس والثلاثون

حق الصُحْبَة

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق السادس والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق الصحبة.**

عباد الله! الإنسان بطبيعته وفطرته لا يستغني عن الناس، ولا يستطيع أبداً أن يعيش منفرداً منعزلاً عنهم، ولابدّ أن يخالط الناس، ولابدّ أن يجالسهم، ولابدّ أن يتخذ أصحاب وأصدقاء وجلساء منهم. ورسولنا ﷺ يخبرنا أن الصاحب والجليس والصديق يؤثر على صاحبه وجليسه وصديقه إما بالخير وإما بالشر.

• قال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**»[1].

فهذا رجلٌ استجاب لصاحبه وجليسه وصديقه السيء فأضله وأدخله النار، وهاهو يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾**﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٢١٤)، و«مسلم» (٢٦٢٨).

ويقول كل منهما للآخر: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨﴾ [الزخرف:٣٨].

والصحبة قد تنقلب إلى عداوة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف:٦٧].

وهذا صاحب لم يستجب لقرينه السيء، وهرب منه ومن مجالسته فنجى من شره ودخل الجنة، ودخل صاحبه النار.

قال تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٠﴾ [الصافات:٥٠-٦٠].

عباد الله! فالصحبة تنفع أو تضر، والمرء على دين صاحبه، والصاحب ساحب. ولذلك قال ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

قال القائل:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه

(١) **حسن**: رواه الإمام مالك في الموطأ (رواية محمد بن الحسن) (٣/ ٤١١)، وأبوداود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٥٥)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٥)].

فكـــــــــــل قــــــــــــرين بالمقـــــــــــارن يقتـــــــــــدى

وقال آخر:

أنـــــت في النـــــاس تُقـــــاس بالـــــذي اخـــــترت خلـــــيلاً

فاصـــــحب الأخيـــــار تعلـــــو وتنـــــل ذكـــــراً جمـــــيلاً

صـــــحبة الخامـــــل تكـــــسو مـــــن يؤاخيـــــه خمـــــولاً

ولذلك قالوا: قل لي من تُصاحب، أقل لك من أنت!

عباد الله! الصحبة في الإسلام شأنها عظيم، وحقها علينا عظيم، ومن حق الصحبة علينا:

أولاً: أن نصاحب المؤمنين الصالحين الأتقياء، ولا نصاحب الطالحين الفاسقين الأشقياء.

• استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

ولقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء:١٤٠].

فالله عز وجل يأمر رسوله ﷺ والمؤمنين بمصاحبة ومجالسة الصالحين، وينهاهم عن مصاحبة ومجالسة الطالحين.

وكذلك رسولنا ﷺ يأمر أمته بمصاحبة ومجالسة الصالحين، ويحذرهم وينهاهم عن مصاحبة ومجالسة الطالحين.

يقول ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(١).

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر**»(٢).

عباد الله! يأمر الله -عز وجل- ورسوله ﷺ بصحبة ومجالسة الصالحين، وذلك لأن صحبة الصالح تنفع في الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فالإنسان إذا صاحب الصالحين وجالسهم، دعوه إلى كل خير وعلموه كل خير، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قال رجلٌ: قدمت المدينة، فقلت: اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فجلست إلى أبي هريرة فقلت: إني سألت الله أن يرزقني جليساً صالحاً، فحدّثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، لعل الله أن ينفعني به.

---

(١) **حسن**: رواه أبوداود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٢)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٨٠١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠)، والدارمي في «سننه» (٢/ ١٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٩١)، و«الأوسط» (١/ ١٨٦)، [«صحيح الجامع» (٦٥٠٦)].

فقال: سمعت رسول الله يقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر..**»[(١)] الحديث.

٢ - وقال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكةً سيارةً فُضُلاً يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله -عز وجل- وهو أعلم: من أين جئتم؟**

فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك، ويحمدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك.

قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب.

قال: فكيف لو رأوا جنتي؟!

قالوا: ويستجيرونك. قال: وممَّ يستجروني؟

قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟!

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٤١٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٦٥)، و في «الكبرى» (١/ ١٤٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٢٧٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤٠)].

قالوا: ويستغفرونك؟

فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاء، إنما مرّ، فجلس معهم. (وفي رواية: «**فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجةٍ**»)

فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم»[1].

٣- وهذا أبو الدرداء ﷺ انتفع بجلوسه مع سلمان ﷺ.

آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نَمْ، فلما كان آخِرُ الليل قال سلمان: قُم الآن، فصليا جميعاً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذِي حق حقَّهُ، فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[2].

فانظروا عباد الله! مصاحبة الصالحين ومجالستهم تنفع في الدنيا؛ ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني تخيّر المجالس على عينك فإن وجدت قوماً

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٦٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٨٦٧).

يذكرون الله فاجلس معهم؛ فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطَّلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم؛ فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً ولعل الله أن يطلع عليهم بنقمة فتصيبك معهم).

• **أما عند الموت:**

فالصاحب المؤمن ينفع صاحبه إذا نام في فراش الموت.

• يدعو له ويرقيه الرقية الشرعية.

• يذكره بإحسان الظن بالله.

• يأمره بالصبر على المرض.

• يلقنه «لا إله إلا الله» فإذا قالها صاحبه ومات دخل الجنة لقوله ﷺ: «**من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»[1].

• **أما بعد الموت:**

فالصاحب المؤمن الصالح ينفع صاحبه بعد الموت؛ لأنه سيقوم بتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه على السنة بعيداً عن البدع والخرافات، ويدعو له بظهر الغيب.

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٣١١٦)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٨)، [«صحيح الجامع» (٦٤٧٩)].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر:١٠]

والصاحب المؤمن ينفع صاحبه بعد الموت، وذلك بزيارته لقبره والدعاء له، ويتفقد أولاده بالحنان والعطف.

- **أما يوم القيامة:**

فالصاحب المؤمن يرفع صاحبه.

قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف].

وقال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[(١)].

عباد الله! أما الصاحب الطالح، أما الصاحب الفاسق، أما قرين السوء فإنه يضر صاحبه في الدنيا، وعند الموت، بعد الموت، ويوم القيامة.

- **أما في الدنيا:**

كم من إنسان دخَّن بسبب قرين السوء؟

كم من إنسان زنى بسبب قرين السوء؟

كم من إنسان شرب الخمر بسبب قرين السوء؟

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٢٩)، و«مسلم» (١٠٣١).

كم من إنسان ترك الصلاة، وانتكس على أم رأسه بسبب قرين السوء؟

كم من إنسانةٍ متحجبة خلعت جلبابها، وتبرجت بسبب قرينة السوء؟

وكم من إنسانةٍ طاهرة عفيفة، أصبحت من البغايا، واقترفت الزنا وضاع عرضها، بسبب قرين السوء؟

فصاحب السوء يدعو صاحبه إلى المعاصي والذنوب، وربما دعاه إلى الكفر بعد الإسلام.

• فهذا رجل في مكة على عهد رسول الله ﷺ كان كافراً، وكاد أن يدخل في الإسلام، بل قالوا: دخل في الإسلام وأسلم، فعلم صديقه وقرينه الكافر -وكان مسافراً إلى بلاد الشام-، فلما رجع إلى مكة، وعلم أن صاحبه قد أسلم أو فكر في الإسلام ذهب إليه وأخذ يكلمه حتى ارتد عن الإسلام.

يخبرنا ربنا -جل وعلا- عن هذا فيقول -تعالى-: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾**﴾

[الفرقان:٢٧-٢٩].

• **أما عند الموت:**

فقرين السوء يضر صاحبه حتى عند الموت، فربما دعاه ليموت على غير الإسلام.

• فهذا أبو طالب عم النبي ﷺ نام في فراش الموت وعنده أبو جهلٍ لعنه الله، فلما علم النبي ﷺ بعمه جاءه وقال له: **يا عم! قل: (لا إله إلا الله) كلمة أشهد**

لك بها عند الله يوم القيامة»[1]، وقرين السوء أبو جهل يقول له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟

الرسول ﷺ يقول: «**يا عم! قل لا إله إلا الله**».

وأبو جهل يقول: أترغب عن ملة عبدالمطلب. حتى خرجت روحه وهو يقول: لا بل على ملة عبدالمطلب؟ فخرج كافراً من هذه الدنيا بسبب قرين السوء.

● **أما بعد الموت:**

فقرين السوء يضر صاحبه بجهله ولا يدعو له، ولا يصلى عليه بل يقف خارج المسجد، ولا يدخل يصلي على صاحبه.

● **أما يوم القيامة:**

فهذه الصحبة وهذه الصداقة تنقلبُ عداوة.

قال تعالى: ﴿**ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿**يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ** ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف].

ثانياً: أن تكون الصحبة والصداقة لله وفي الله:

استجابة لقوله ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»[2].

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٢٩٤)، و«مسلم» (٢٤).

(٢) **حسن**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٩١)، [«صحيح الجامع» (٦٢٨٨)].

ولقوله ﷺ: «**ما تحابّ رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله -عز وجل- أشدُّها حباً لصاحبه**»[(١)].

ولقوله ﷺ: «**قال الله -عز وجل-: قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتبادلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي**»[(٢)].

ولقوله ﷺ: «**إن الله -تعالى- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[(٣)].

عباد الله! • الحب في الله من كمال الإيمان.

قال ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٤)].

• الحب في الله يُوجب محبة الله.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٩٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٨٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٤)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٨١)، وأبونعيم في «الحلية» (٢/ ١٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢١)].

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٦٦).

(٤) **صحيح**: رواه أبوداود (٤٦٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٣٤)، و«الأوسط» (٩/ ٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٩٢)، [«صحيح الجامع» (٥٩٦٥)].

قال ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قريةٍ أخرى، فأرصد الله لـه عـلى مدرجتـه ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟**

قال: أريد أخاً لي في هذه القرية.

قال: هل لك عليه مـن نعمـة تُربُهـا عليـه؟ قـال: لا، غـير أني أحببتـه في الله -تعالى-.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[1].

• الحب في الله طريق إلى الجنة.

قال ﷺ: «**ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟**».

قلنا: بلى يا رسول الله!

قال: «**النبي في الجنة، والصديق، والرجل يزور أخاه، في ناحية المِصر لا يزوره إلا لله في الجنة**»[2].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٦٧).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٠٦)، وفي «الصغير» (١/ ٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤١٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤١)].

الحق السابع والثلاثون

حقُ البيوت

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق السابع والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق البيوت.**

عباد الله! البيوت هي: مكان القرار والاستقرار، والسكن والطمأنينة، وحفظ الأنفس والأموال والأعراض، ولذلك امتن الله على المسلمين بنعمة البيوت.

فقال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ۝٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣**﴾ [النحل:٨٠-٨٣].

- البيوت هي: المأوى والملجأ الشرعي للمسلم.
- قال ﷺ: «**طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته**»[١].

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢١)، وفي «الصغير» (١/ ١٤٠)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٣١٣)، [«صحيح الجامع» (٣٩٢٩)].

• وقال ﷺ: «**سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**خمسٌ من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله من عاد مريضاً، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسَلِمَ الناس منه وسَلِمَ من الناس**»[(٢)].

• وقال رجلٌ يا رسول الله! ما النجاةُ؟

فقال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[(٣)].

• البيوت هي: مكان قرار المرأة وحفظها قال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾.

• البيت هو: لبنة الأساس للمجتمع المسلم، فهو بمنزلة القلب من الجسد، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وكذلك البيوت إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن حق البيوت أمور:

الأمر الأول: أن كثيراً من الناس لا يشعرون بالسعادة والطمأنينة والسكن والقرار والاستقرار في بيوتهم، ولا يعرفون ما هو السبب**!!**

---

(١) **حسن**: [«صحيح الجامع» (٣٦٤٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٧)، [«صحيح الجامع» (٣٢٥٣)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧٠)، و«الأوسط» (٦/ ٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٩٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

الأمر الثاني: أن كثيراً من الناس اعتدى عليهم الشيطان وعلى أولادهم بالمسِّ والصرع، ولا يعرفون أيضاً ما هو السبب**!!**

الأمر الثالث: أن كثيراً من البيوت لا تدخلها الملائكة، ولا يعرفون أيضاً ما هو السبب**!!**

الأمر الرابع: أن كثيراً من الناس لا يتأدبون بآداب البيوت، كآداب الاستئذان وغيرها.

فأردنا انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ «**الدين النصيحة**» أن نتكلم عن حق البيوت؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عباد الله! البيوت في الإسلام شأنها كبير، وحقها علينا عظيم، ومن حق البيوت علينا:

أولاً: أن نُؤسسها على تقوى من الله.

عباد الله! المسلم العاقل -الذي يريد أن يسعد في بيته مع زوجته وأولاده- هو: الذي يبني بيته من المال الحلال، بعيداً عن الإسراف والتبذير والمباهاة؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف:٣١].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴿٢٦﴾ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

وقال ﷺ: «**أما إن كل بناءٍ وبالٌ على صاحبه، إلا ما لا إلا ما لا، يعني: ما لابد منه**»[1].

---

(١) حسن **صحيح**: رواه أبوداود (٥٢٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٩٠)، [«صحيح الترغيب =

وقال ﷺ: «**إن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا في التراب. أو قال في البناء**»[(١)].

وهذا يا عباد الله! محمولٌ على الإسراف والتبذير فيما لا حاجة له، ولكن من وسَّع بيته بدون إسرافٍ ولا تبذيرٍ فلا إثم عليه.

• وكذلك على المسلم أن يؤسس بيته بالزوجة الصالحة؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**﴾ [النور:٣٢].

ولقوله ﷺ: «**وتُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[(٢)].

ولقوله ﷺ: «**الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[(٣)].

ولقوله ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة**»[(٤)].

عباد الله! جعل الله البيت سكناً.

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا**﴾ [النحل:٨٠].

=والترهيب» (١٨٧٤)].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٣)، وابن ماجه (٤١٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١١٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٩٣)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٣٥٨)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٨٠٢)، و«مسلم» (١٤٦٦).

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٤٦٧).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٥٥)].

• كما جعل الله -تعالى- الزوجة سكناً، يسكن إليه الزوج.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

عباد الله! وأمر الله المرأة بالقرار في البيت، فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾.

فانظروا عباد الله! إذا ما اجتمع سكن البيت الذي بُني من الحلال، مع سكن الزوجة الصالحة، التي استقرت في بيتها؛ شعر المسلم بالسعادة والطمأنينة والسكن والاستقرار في بيته، ولذلك قال بعض الصالحين: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة، لجالدونا عليها بالسيوف).

ودخل بعض الصالحين بيته فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

عباد الله! أما من بنى بيته من الربا، وزَخرَف وأسرف، وتزوج من امرأة لا تعرف ربها، فكيف يشعر بالسعادة في بيته؟!

ثانياً: ومن حق البيوت علينا أن نجعلها مكاناً لذكر الله دائماً.

استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٣].

ولقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١]

ولقوله ﷺ «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه، مثل الحي والميت**»[١].

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٧٧٩).

عباد الله! فالمسلم في بيته يذكر الله دائماً.

• إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[(١)].

ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليّ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»[(٣)].

• المسلم يذكر ربه عند النوم.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٥١)، [«صحيح الجامع» (٦٤١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٣٢١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٢٠)، و«الأوسط» (٣/ ٣٤)، [«صحيح الجامع» (٤٧٠٨)].

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٠١٨).

إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر ما تقول»[١].

• وإذا استيقظ المسلم من نومه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور**»[٢].

• ويقول المسلم عند جماع أهله: «**اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»[٣].

• إذا دخل بيت الخلاء قال: «**بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[٤]، وإذا خرج قال: «**غُفرانك**»[٥].

ثالثاً: ومن حق البيوت علينا أن نُطهرها من المخالفات الشرعية.

عباد الله! ومن المخالفات الشرعية التي في بيوت كثير من المسلمين -والتي حرمتهم السعادة والطمأنينة والسكن والقرار والاستقرار، وسلطت الشياطين عليهم وعلى أولادهم فمستهم وأزعجتهم-:

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٩٥٢)، و«مسلم» (٢٧١٠).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٩٦٥).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٤١)، و«مسلم» (١٤٣٤).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٤٢) (٥٩٦٣)، و«مسلم» (٣٧٥).

(٥) **صحيح**: رواه أبوداود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ١٥٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٢٩١)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٤٤)].

١ - اتخاذ التصاوير في البيوت وتعليقها على الجدران، وهذا يمنع دخول الملائكة في هذا البيت.

• قال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا تصاوير**»(١).

• وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور**»(٢).

عباد الله! والصورة التي تمنع دخول الملائكة هي الصورة لذوات الأرواح.

٢ - وجود التماثيل في البيوت، وهذا يمنع دخول الملائكة البيت.

• قال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا تماثيل**»(٣).

٣- اتخاذ الكلاب في البيوت.

• قال ﷺ: «**من اقتنى كلباً إلا كلب صيدٍ أو ماشية فإنه ينقص من أجره كل يومٍ قيراطان**»(٤).

٤ - ستر الجدران.

تقول عائشة رضي الله عنها: خرج رسول الله ﷺ في غزاة، فأخذت نمطاً فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه، فجذبه حتى هتكه أو

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٦٠٥)، و«مسلم» (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٦١٢)، و«مسلم» (٢١٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (٣١٠٦).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥١٦٤)، و«مسلم» (١٥٧٥).

قطعه، وقال: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين**» قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً، فلم يعب ذلك عليّ»[١].

وروى البيهقي عن علي بن حسن عن النبي ﷺ أنه: «نهى أن تستر الجُدر»[٢].

وقال ﷺ: «**ستُفتح عليكم الدنيا حتى تنجدوا بيوتكم كما تنجد الكعبة، فأنتم اليوم خيرٌ من يؤمئذ**»[٣].

٥ - الاختلاط داخل البيوت.

عباد الله! الاختلاط بين الرجال والنساء، وهو ما يسمونه بالجلسات العائلية والتي دمّرت كثيراً من البيوت وعرضت كثيراً من الأعراض للخطر.

- ولذلك قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أرأيت الحمو؟

قال: «**الحمو الموت**»[٤].

- وقال ﷺ: «**لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا مع ذي محرم**»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢١٠٧).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٥٦)، وفي السنن (٧/ ٢٧٢)، [«الصحيحة» (٢٣٨٤)].

(٣)**صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٠٨)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥١٥)، [«صحيح الجامع» (٣٦١٤)].

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٣٤)، و«مسلم» (٢١٧٢).

(٥) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٣٥).

ومن صور الاختلاط في البيوت:

• اختلاط البنات مع ابن العم وابن العمة وابن الخال وابن الخالة.

• الاختلاط مع أخ الزوج بالنسبة للزوجة، واختلاط أخوات الزوجة مع زوج أختهن.

• خلوة الخطيب بخطيبته وخروجه بها قبل العقد.

• الاختلاط بين الرجال والنساء في الحفلات والمناسبات، بحجة أن القلوب بيضاء.

• اختلاط السائق بأهل البيت في غياب الرجل.

• اختلاط الشباب أو الزوج مع الخادمة.

٦- تعليق التمائم -«الخرزة الزرقاء أو العين أو النعل»- في البيت، أو على باب البيت.

عباد الله! والذين يفعلون ذلك يعتقدون بجهلهم أنها تدفع العين والحسد، وهذا شرك وحرام.

قال ﷺ: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٨١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٣)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ١٣٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٥٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٨٤٥)].

٧- الذبح عند شراء البيت، أو عند استكمال البناء، أو عند «عقد» السقف.

عباد الله! والجهلة من المسلمين يفعلون ذلك إما على عتبة البيت، أو على سطحه، أو على مقدمة السيارة، وهذا الذبح من أعمال الجاهلية التي كانوا يقصدون بها الذبح للجن خوفاً من أن تصيبهم، وهذا شركٌ وحرام.

فالله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدِثاً، لعن الله من غير منار الأرض**»[(١)].

٨- ترك الصلاة في البيوت مما جعلها كالمقابر.

والنبي ﷺ يقول: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»[(٢)].

والمراد بالصلاة في الحديث صلاة النافلة، لقوله ﷺ: «**صلوا أيها الناس في بيوتكم؛ فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٩٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٢٢)، و«مسلم» (٧٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٩٨)، و«مسلم» (٧٨١).

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٧٧٨).

فعلى المسلم أن يصلي الفريضة في المسجد، ويصلي السنن الرواتب في بيته وكذلك الضحى، وقيام الليل؛ ففي ذلك خيرٌ كثير له ولبيته ولأهل بيته.

٩ - هجر قراءة القرآن عامةً، وسورة البقرة خاصةً.

عباد الله! كثير من البيوت لا يتلى فيها القرآن عامة، وسورة البقرة خاصة، فسكنتها الشياطين واعتدت على أهلها بالمس والصرع، فعلى المسلم أن يقرأ القرآن في بيته عامة، وسورة البقرة خاصة لأن ذلك يطرد الشيطان من البيت.

• ويقول ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»[1].

• ويقول ﷺ: «**اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يُقرأ فيه سورة البقرة**»[2].

ولقوله ﷺ: «**إن الله تعالى -كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، وهو عند العرش، وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها الشيطان**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٧٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٥٣)، [«صحيح الجامع» (١١٧٠)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٨٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٦١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٨٥)، و«الأوسط» (٢/ ٩٣)، و«الصغير» (١/ ١٠٤)، [«صحيح الجامع» (١٧٩٩)].

رابعاً: ومن حق البيوت علينا أن نتأدب معها بالآداب الإسلامية الخاصة بها، كالاستئذان وغيره.

عباد الله! أمرنا الله -عز وجل- بالاستئذان إذا دخلنا بيوتاً غير بيوتنا، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور:٢٧-٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة:١٨٩].

• وقال ﷺ: «**لو اطَّلع رجلٌ في بيتك، فخذفته بحصاة، ففقأت عينه ما كان عليك جناح**»[1].

«وقال ﷺ: «**من اطَّلع في بيت قومٍ بغير إذنٍ ففقؤوا عينه فلا دية له ولا قصاص**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٣٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٦٨)، و«مسند الشافعي» (٩٧٢)، والبيهقي في السنن (٨/ ٣٣٨)، [«صحيح الجامع» (٥٢٤٦)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٤٨٦٠)، وفي «الكبرى» (٤/ ٢٤٧)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨٥)، والبيهقي في السنن (٨/ ٣٣٨)، وابن الجارود في المنتقى (٧٩٠)، [«صحيح الجامع» (٦٠٤٦)].

• وقال ﷺ: «**لا يحل لامرئٍ مسلم أن ينظر إلى جوف بيتٍ حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل**»(١) -أي: صار في حكم الداخل-.

• وعن سهل بن سعد: أن رجلاً اطَّلع من جُحر -أي: ثقب- في باب النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مدرى- أي: حديدة- يحك بها رأسه، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**لو أعلم أنك تنظر في لطعنت به في عينيك**».

وقال ﷺ: «**إنما جعل الإذن من أجل البصر**»(٢).

عباد الله! فهذه هي النصوص الصحيحة الصريحة، تدل على حرمة إطلاق البصر في البيوت، والدخول إليها من غير استئذان، فليتق الله أُناسٌ يفعلون هذا الفعل.

عباد الله! وأمرنا الله -عز وجل- بالاستئذان حتى في داخل بيوتنا.

فقال تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾**﴾ [النور:٥٨-٥٩].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» في «الأدب المفرد» (١٠٩٣)، وأبوداود (٩٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ١٦٣)، [«صحيح الأدب المفرد» (٨٣١)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٨٨٧)، و«مسلم» (٢١٥٦).

• وسأل رجلٌ ابن عباسٍ فقال: أستأذن على أختي؟

فقال: نعم.

فقال الرجل: فأعدتُ .

فقال: «نعم، أتحب أن تراهما عُريانتين؟!

ثم قرأ عليه آيات الاستئذان، ثم قال له ابن عباس: «فالإذن واجبٌ على الناس كُلِّهم»[١].

• وسأل رجلٌ حذيفة فقال: أستأذن على أمي؟

فقال: «إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره»[٢].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» في «الأدب المفرد» (١٠٦٣)، [«صحيح الأدب المفرد» (٨١١)].

(٢) **حسن**: رواه «البخاري» في «الأدب المفرد» (١٠٦٠)، [«صحيح الأدب المفرد» (٨١٠)].

الحق الثامن والثلاثون

حق المريض

عباد الله! موعدنا هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق الثامن والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق المريض.**

عباد الله! النعم التي يتقلب فيها الإنسان كلها من الله. يقول الله -عز وجل-: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ**﴾، ونعم الله علينا كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ**﴾.

والصحة والعافية -من نعم الله العظيمة علينا، والتي كان رسول الله ﷺ يسأل ربه دائماً دوامها، فيقول: «**اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»(١).

عباد الله! وأمرنا النبي ﷺ أن نسأل الله دائماً الصحة والعافية.

فقال ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية**»(٢).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٦)، [«صحيح الجامع» (١٢٦٨)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٥٨)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، [«صحيح الجامع» (٣٦٣٢)].

• وقال ﷺ: «**يا عباس عمّ النبيّ! أكثر من الدعاء بالعافية**»[1].

عباد الله! وعلمنا النبي ﷺ إذا رأى أحدنا مبتلى بمرضٍ أو غيره أن نقول: «**الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير من خلق تفضيلاً**» من قال ذلك «**لم يصبه ذلك البلاء**»[2].

عباد الله! والإنسان في هذه الدنيا يُبتلى بالصحة والمرض، وبالسراء والضراء، وبالحسنات والسيئات، وبالخير والشر.

• قال تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾**﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾**﴾ [الأنبياء:٣٥].

والمؤمن الصادق في إيمانه -الذي يؤمن بقضاء الله وقدره- هو الذي إذا ابتلى بالسراء شكر، وإذا ابتلى بالضراء صبر.

قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن! إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خير له!**»[3].

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١١)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٣٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٩٠)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٣١)، وابن ماجه (٣٨٩٢)، والطيالسي في «مسنده» (١٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٨٣)، وعبدالرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٤٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٩٢)].

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٩٩٩).

فالصحيح مبتلى بالصحة؛ أيشكر أم يكفر، والمريض مبتلى بالمرض؛ أيصبر أم يجزع.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن حق المريض أمورٌ:

الأمر الأول: أن كثيراً من المرضى لا يصبرون على الابتلاء بالمرض، فتراهم يجزعون من المرض، ويدعون على أنفسهم بالموت، وهذا حرام.

الأمر الثاني: أن كثيراً من المرضى إذا مرض ترك الصلاة، وهذا حرام.

الأمر الثالث: أن كثيراً من المرضى إذا اشتدّ بهم المرض هرولوا إلى السحرة والكهنة والعرافين، وهذا حرامٌ.

الأمر الرابع: أن كثيراً من المرضى -في مرضهم- لا يدعون الله لأنفسهم بالشفاء، بل ونسوا أن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل.

الأمر الخامس: وجدتُ كثيراً من الأطباء -إلا من رحم ربي- لا يرحمون المريض في الكشف عليه، وفي وصف الدواء له، وفي إجراء بعض العمليات الجراحية له، فتراهم لا هم لهم إلا أن يتحصلوا على المال من المريض المسكين!

عباد الله! المريض في الإسلام شأنه كبير، وحقه علينا معشر المسلمين عظيم، ومن حق المريض علينا:

أولاً: أن نعوده في مرضه.

استجابة لقوله ﷺ: «**عودوا المريض، واتبعوا الجنائز تُذكركُم الآخرة**»[1].

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٢١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٣٦٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦٩)].

ولقوله ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفُكُّوا العاني**»[١].

ولقوله ﷺ: «**خمسٌ تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز**»[٢].

- ولقوله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ستٌّ**».

قيل: وما هنّ يا رسول الله؟

فذكر منها: «**وإذا مرِضَ فعُدْهُ**»[٢].

- وعن البراء رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض»[٣].

- وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تَعُدني. قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟!**

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تَعُدْهُ، أما علمت أنك لو عُدْته لوجدتني عنده!»[٤].

عباد الله! وعيادة المريض تكون للمسلم والكافر واليهودي والكبير والصغير والأعرابي، وغيرهم فهذا رسولنا ﷺ:

١ - عاد عمه أبا طالب وهو كافرٌ، ودعاه إلى الإسلام، فقال له: «**يا عمّ! قل لا إله إلا الله؛ كلمة أشهد لك بها عند الله**»[٥]، ولكنه مات على كفره.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٠٥٨).

(٢) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢١٦٢).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣١٢)، و«مسلم» (٢٠٦٦).

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٦٩).

(٥) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٢٩٤)، و«مسلم» (٢٤).

٢ - وعاد الغلام اليهودي، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم.

• يقول أنس ﷺ: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(١).

• وعاد النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص ﷺ، ودعا له فقال ﷺ: «**اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً**»(٢).

• وعاد ﷺ الأعرابي، فقال له: «**لا بأس؛ طهورٌ إن شاء الله**»(٣).

• وعاد النبي ﷺ شاباً، فدخل عليه وهو في الموت، فقال له: «**كيف تجدك**»، فقال: يا رسول الله! إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمّنه مما يخاف**»(٤).

عباد الله! وعيادة المريض تُدخل السرور على قلب المريض، وإدخال السرور على قلب المسلم من أحب الأعمال إلى الله.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٢٩٠).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣٣٥)، و«مسلم» (١٦٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣٤٢٠).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٦٢)، وأبونعيم في «الحلية» (٦/ ٢٩٢)، ومسند عبد بن حميد (١٣٧٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٣٦)].

• قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم**»[(١)].

- وعيادة المريض تُؤلف القلوب، وتحقق قول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٢)].

- عيادة المريض فيها أجرٌ عظيم.

• قال ﷺ: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**»[(٣)].

• وقال ﷺ: «**إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في خُرفةِ الجنة حتى يرجع**»[(٤)].

• وقال ﷺ: «**ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادَهُ عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة**»[(٥)].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٣)، و«الأوسط» (٦/ ١٣٩)، و«الصغير» (٢/ ١٠٦)، [«صحيح الجامع» (١٧٦)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٦٦٥)، و«مسلم» (٢٥٨٦).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٩٣)، [«صحيح الجامع» (٦٣٨٧)].

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٥٦٨).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٩٦٩)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٩١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠١)، ومسند البزار (٣/ ٢٨)، [«صحيح الجامع» (٥٧٦٧)].

ثانياً: ومن حق المريض علينا أن نذكّره، ونبشّره ونحذّره.

عباد الله! إذا عُدنا المريض نذكّره، وهذا من حقه علينا:

١ - بفضل الصبر على المرض؛ ليصبر على مرضه؛ وليتحصل على الأجر العظيم. نقول له أيها المريض يقول ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزنٍ، ولا أذىً ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله -عز وجل- وما عليه خطيئة**»[(٣)].

• ويقول ﷺ: «**إذا اشتكى المؤمن، أخلصه الله كما يخلص الكيرُ خبث الحديد**»[(٤)]، ومعنى أخلصه الله: أي من الذنوب والخطايا.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، و«مسند الشهاب» (٢/ ١٧٠)، [«صحيح الجامع» (٢١١٠)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣١٨)، و«مسلم» (٢٥٧٢).

(٣) حسن **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، و«مسند أبي يعلى» (١٠/ ٣١٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤١)، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤١٤)].

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٥٤)، ومسند عبد بن حميد (١٤٨٧)، و«مسند الشهاب» (٢/ ٣٠٠)، [«صحيح الجامع» (٣٤٤)].

فاصبر أيها المريض على مرضك.

• فإن النبي ﷺ يقول: «**الصبر ضياء**»(١).

• ويقول ﷺ: «**ومن يتصبّر يُصبّره الله، وما أُعطى أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»(٢).

• ويقول ﷺ: «**يودُّ أهل العافية يوم القيامة، حين يُعطى أهل البلاء الثواب؛ لو أنّ جلودهم كانت قُرِّضت بالمقاريض**»(٣).

• ونذكر المرأة السوداء مثالاً في الصبر على المرض.

عندما أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**» فقالت: أصبر -فصبرت على المرض حتى تفوز بجنة عرضها السموات والأرض- فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها»(٤).

٢- بالدعاء.

نقول له: أيها المريض! عليك بالدعاء؛ فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾.

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٤٠٠)، و«مسلم» (١٠٥٣).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٢)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٨٠)، وفي السنن (٣/ ٣٧٥)، وابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات (٢٠٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٤)].

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣٢٨)، و«مسلم» (٢٥٧٦).

ويقول النبي ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»[1].

ويقول ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**»[2].

ويقول ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء**»[3].

ويقول ﷺ: «**لا يردُّ القضاء إلا الدعاء**»[4].

ويقول ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[5].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أبوداود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥٢)، وفي «الأوسط» (٥/ ٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥١)، و«مسند البزار» (٦/ ٥٠١)، و«مسند الشهاب» (٢/ ٣٦)، [«صحيح الجامع» (٧٦٨٧)].

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٤٧)، و«مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٠)، [«صحيح الجامع» (٢٤١٨)].

أيها المريض! ارفع يديك إلى السماء، وقل: يا ربّ، يا رب، يا رب اشفني، أذهب ما نزل بي، وتذكر أيوب عليه السلام الذي ابتلي بالمرض ثماني عشرة سنة، فصبر ودعا، والله عز وجل يخبرنا عنه في كتابه، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء:٨٤-٨٥].

وقال الله -عز وجل- في وصفه لعبده أيوب الذي صبر على المرض: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٤٤﴾ [ص:٤٤].

٣- نذكره بالعلاج النبوي، نقول له: أيها المريض!

- لا تنسى أن تضع يدك على مكان الألم وتقرأ الفاتحة؛ فهي الشافية بإذن الله!
- لا تنسى أن تضع يدك على مكان الألم وتقول: «بسم الله بسم الله، بسم الله».
- لا تنسى أيها المريض أن تضع يدك على مكان الألم وتقول: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» سبعاً.
- لا تنسى العسل؛ ففيه شفاء للناس.
- لا تنسى الحبة السوداء؟ فإن فيها شفاء من كل داءٍ إلا السام -أي: الموت-.
- لا تنسى ماء زمزم؟ واشربه بنية الشفاء ،قال ﷺ: «**ماء زمزم لما شُرب له**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٤٦)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٢٨٩)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٥٩)، و «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٤٨١)، وفي «الكبرى» (٥/ ١٤٨)، [«صحيح الجامع» (٥٥٠٢)].

• لا تنسى الحجامة والحناء، قال ﷺ: «**إن كان في شيء مـن أدويـتكم خـيرٌ، ففي شرطةِ محجم -وهو مشرط الحجام- أو شربةٍ من عسلٍ، أو لذغة بنار، ومـا أُحب أن أكتوي**»[١].

وقال ﷺ: «**إن كان في شيءٍ مما تداويتم به خير فالحجامةُ**»[٢].

وعن سلمى خادم رسول الله ﷺ قالت: مـا كـان أحـدٌ يـشتكي إلى رسـول الله ﷺ وجعـاً في رأسـه إلا قـال: «**احـتجم**» ولا وجعـاً في رجليـه إلّا قال: «**إخضبهما**»[٣].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدّث رسول الله ﷺ عن ليلة أُسري به أنه: «**لم يمرَّ على ملأٍ من الملائكة إلا أمروه: أن مُر أمتك بالحجامة**»[٤].

ومن حق المريض علينا أن نبشره.

نقول له: أيها المريض! أبشر فإن الله أمر ملائكته أن تسجل لك ما كنت تعمل وأنت صحيح، كقراءة القرآن والصلاة في جـوف الليـل، والـصلاة في جماعـة، والصيام، وغيرها.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣٧٥)، و«مسلم» (٢٢٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبوداود (٢١٠٢)، وابن ماجه (٣٤٧٦)، وأحمـد في «مـسنده» (٢/ ٣٤٢)، وابـن حبـان في «صـحيحه» (١٣/ ٤٤٢)، والحـاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٤)، و«مـسند أبي يعـلى» (١٠/ ٣١٨)، ومـصنف ابـن أبي شـيبة (٥/ ٥٨)، والبيهقـي في الـسنن (٩/ ٣٣٩)، [«صـحيح الجامع» (١٤٣٠)].

(٣) **حسن**: رواه أبـوداود (٣٨٥٨)، والترمـذي (٢٠٥٤)، وابـن ماجـه (٣٥٠٢)، ومـسند أحمـد (٦/ ٤٦٢)، والحـاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤)، والبيهقـي في الـسنن (٩/ ٣٣٩)، [«صـحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦١)].

(٤) **صـحيح لغـيره**: رواه الترمـذي (٢٠٥٢)، وابـن ماجـه (٣٤٧٩)، والطـبراني في «الأوسـط» (٣/ ٢٨٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦٢)].

• قال ﷺ: «ما من أحدٍ يمرضُ، إلا كتب له مثل ما كان يعمل وهو صحيح»[(١)].

• وقال ﷺ: «ما من أحدٍ من الناس يُصاب ببلاءٍ في جسده إلا أمر الله -عز وجل- الملائكة الذي يحفظونه، قال: اكتبوا لعبدي في كل يومٍ وليلةٍ ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي»[(٢)].

• وقال ﷺ: «إذا ابتلى الله -عز وجل- العبد المسلم ببلاءٍ في جسده، قال الله -عز وجل- للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه غسله وطهره -أي من الذنوب والخطايا- وإن قبضه غفر له ورحمه»[(٣)].

• وقال ﷺ: «قال الله -تبارك وتعالى-: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكُني إلى عُوّاده، أطلقتُه من إساري، ثم أبدلتُه لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» في «الأدب المفرد» (٥٠٠)، وأبو داود (٣٠٩١)، ومسند أحمد (٢/ ١٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٩١)، [صحيح «الأدب المفرد» (٣٨٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٥٩)، والدرامي في «سننه» (٢/ ٤٠٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٨٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٢١)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٨)، وأبويعلى الموصلي في «مسنده» (٧/ ٢٣٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٨٤)، [«صحيح الجامع» (٢٥٨)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٥٤٧)، وفي السنن (٣/ ٣٧٥)، وأبونعيم في «الحلية» (٧/ ١١٧)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (١٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٢٣)].

• وتقول أم العلاء: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: «**يا أم العلاء أبشري! فإنَّ مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تُذهب النار خُبث الذهب والفضة**»[١].

- ومن حق المريض علينا أن نُحذِّره.

١ - من أن يتمنى الموت أو يدعو على نفسه بالموت؛ جزعاً من شدة المرض.

• نقول له: أيها المريض لا تتمنّ الموت واصبر، قال ﷺ: «**لا يتمنّ أحدكم الموت، إما محسناً، فلعله يزادُ وأما مسيئاً فلعله يستعتب -أي: يرجع عن الإساءة-**»[٢].

• وقال ﷺ: «**لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضرٍّ أصابه، فإن كان لابد فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»[٣].

• ويقول خبابُ بن الأرتّ رضي الله عنه وهو في مرضه: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[٤].

٢ - ونحذر المريض من الذهاب إلى السحرة والكهنة والعرافين. نقول: أيها المريض! احذر أن تذهب إلى السحرة والكهنة والعرافين؛ لأن ذلك حرامٌ وشركٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٣٠٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٤١)، ومسند عبد بن حميد (١٥٦٤)، [«صحيح الجامع» (٧٨٥١)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٨٠٨)، و«مسلم» (٢٦٨٢).

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣٤٧)، و«مسلم» (٢٦٨٠).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٩٨٩)، و«مسلم» (٢٦٨١).

قال ﷺ: «**من أتى عرّافاً فسأله عن شيءٍ فصدقه لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يوماً**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**لا تأتوا الكُهّان**»[(٣)].

• وقال ﷺ عن الكهان: «**ليسوا بشيءٍ**»[(٤)].

٣- ونحذر المريض من تعليق الحُجب والتمائم. نقول له: أيها المريض! احذر من تعليق الحجب والتمائم؛ لأنها حرامٌ ومن عمل السحرة والعرافين.

• والنبي ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(٥)].

• ودخل رجل على مريض فقال له: ألا تُعلّق شيئاً؟ فقال المريض: الموت أقرب من ذلك.

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٢٣٠)..

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٦)، وفي «الأوسط» (٢/ ١٢٢)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ٢٨٠)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٥)، ومسند ابن الجعد (١٩٤٢)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (٥٣٧).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٨٥٩)، و«مسلم» (٢٢٢٨).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥٣٠)، ومسند أحمد (١/ ٣٨١)، وصحيح ابن حبان (١٣/ ٤٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٣)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ١٣٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٥٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥٧)].

قال رسول الله ﷺ: «**من تعلق شيئاً وكِلَ إليه**»[١].

وقال ﷺ: «**من عَلَّق فقد أشرك**»[٢].

٤- ونحذّر المريض من ترك الصلاة. نقول له: أيها المريض! إِعلم أن الصلاة لا تسقط عنك أبداً إلا بذهاب العقل -فالصلاة لا تجب على المجنون- أو بذهاب الروح -أي الموت- فلا يجوز للمريض أبداً أن يترك الصلاة، لأنّ ترك الصلاة سبب لدخول النار. قال تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝**﴾ [المدثر:٤٢-٤٣].

وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٣].

وقال ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٤].

أيها المريض! إذا عجزت عن الوضوء فعليك بالتيمم: وذلك بأن تضرب الأرض أو الحائط الذي بجوارك بيديك ثم تمسح وجهك ثم كفيك، وإن عجزت عن الوضوء والتيمم فصلِ على حالتك. وإن عجزت عن القيام في الصلاة فصلِ قاعداً، فإن عجزت فصلِ على جنب، فإن عجزت فصلِ حسب

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٠٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٧٩)، وفي «الكبرى» (٢/ ٣٠٧)، ومسند أحمد (٤/ ٣١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٨٥)، وفي «الأوسط» (٢/ ١٢٧)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٣)، ومسند أحمد (٤/ ١٥٦)، ومسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٢/ ٦٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥٥)].

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٦١) هامش (٢).

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٨٢).

استطاعتك؛ فإن الله -عز وجل- قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**»[1].

ثالثاً: ومن حق المريض علينا أن نَرقيه بالرقية الشرعية.

وذلك بأن تضع يدك على مكان الألم عند المريض ثم:

١ - تقرأ سورة الفاتحة، والإخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسي.

٢ - ثم تقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» ثلاثاً[2].

٣ - ثم تقول: «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك» سبعاً[3].

٤ - ثم تقول: «أُعيذُك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامّة» ثلاثاً[4].

٥ - ثم تقول: «اللهم اشف عبدك فلاناً ينكأُ لك عدواً، أو يمشي لك إلى الصلاة»[5].

اللهم اشف مرضى المسلمين.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٨٥٨).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٤١١)، و«مسلم» (٢١٩١).

(٣) **صحيح**: [«صحيح الجامع» (٥٧٦٦)].

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٣١٩١).

(٥) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٢)، وابن حبان في صحيح (٧/ ٢٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٥)، و«مسند عبد بن حميد» (٣٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٨١)].

الحق التاسع والثلاثون

حقُ البصر

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق التاسع والثلاثين من سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق البصر**.

عباد الله! البصر نعمة عظيمة من نعم الله علينا التي لا تُعد ولا تحصى، والله سائلُنا عنها يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وكان رسول الله ﷺ يسأل ربه دوامها، فيقول: «**اللهم اقسم لنا من خشيك ما تحول به وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»(١).

- فبالبصر يتعلم الإنسان دينه؛ فهو وسيلة لطلب العلم.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٩)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٠٩)، [«صحيح الجامع» (٢١٤٨)].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨].

• وبالبصر ينظر الإنسان في ملكوت السموات والأرض؛ ليعتبر ويتدبر.

قال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾ [النمل:٦٩]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس:١٠١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾ [عبس:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١].

-وعاب الله على الذين لا يستخدمون نعمة البصر في التفكر في خلق الله.

فقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف:١٩٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف].

- ولذلك لم يسوِّ الله بين الأعمى والبصير.

فقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠﴾.

فالبصر نعمة عظيمة على الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا من فقدها. لذلك من فقدها وصبر واحتسب الأجر عند الله عوضه الله عن هذه النعمة بالجنة يوم القيامة.

قال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -أي: بعينيه- فصبر عوضته منهما الجنة**»(١).

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن حق البصر ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أننا نرى كثيراً من الناس لا يغضون أبصارهم عما حرم الله، فأطلقوا أبصارهم في النظر إلى الكاسيات العاريات في الشوارع، فمرضت قلوبهم بمرض الشهوة، فوقعوا في فاحشة الزنا.

- فالنظر بريد الزنا.

قال ﷺ: «**إن العينان تزنيان، والرِّجلان تزنيان، والفرجُ يزني**»(٢).

وقال ﷺ: «**العينان زناهما النظر**»(٣).

وقد قال القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مُستصغر الشرر

والمرء ما دام ذا عين يُقلبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٣٢٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٤١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٢٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ٢٤٦)، ومسند البزار (٥/ ٣٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٦٥)، وفي «السنن» (٧/ ٨٩)، [«صحيح الجامع» (٤١٥٠)].

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٨٨٩)، و«مسلم» (٢٦٥٧).

الأمر الثاني: نرى كثيراً من الناس ينظرون إلى من فوقهم في الدنيا، فيدفعهم ذلك إلى الركون إلى الدنيا. ورسولنا ﷺ يقول: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر -أي: أحق- أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»(١).

وفي رواية للبخاري: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق -أي: الصورة- فلينظر إلى من هو أسفل منه**»(٢) .

الأمر الثالث: نرى كثيراً من الناس قد جمدت أعينهم، فلم تبك يوماً من خشية الله، ولم تسهر يوماً في سبيل الله.

• ورسولنا ﷺ يقول: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة عينٌ بكت من خشية الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله**»(٣).

فأردنا -انطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(٤) - أن نتكلم عن حق البصر علينا؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة.

عباد الله! البصر في الإسلام شأنه كبير، وحقه علينا معشر المسلمين عظيم، ومن حق البصر علينا:

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٩٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦١٢٥).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤١٦)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٥٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣١)].

(٤) **صحيح**: رواه «مسلم» (٥٥).

أولاً: أن نَغُضه عن محارم الله.

استجابة لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠-٣١].

واستجابة لقوله ﷺ: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»[(١)].

ولقوله ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**».

فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدٌّ نتحدث فيها.

فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟!

قال: «**غضُّ البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[(٢)].

ولقوله ﷺ لعليّ: «**يا عليُّ، لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[(٣)].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٥٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٠٥)، وفي السنن (٦/ ٢٨٨)، [«صحيح الجامع» (١٠١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٨٧٥)، و«مسلم» (٢١٢١).

(٣) **حسن**: رواه أبوداود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٥٩)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٣٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٢)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٠٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٦٤)، وفي السنن (٧/ ٩٠)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٣)].

وعن جرير بن عبد الله ﵁ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرِفَ بصري»[(١)].

• وعن عبدالله بن عباس ﵄ أنه قال: أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباسٍ يوم النحر خلفه على عجز راحلتِهِ، وكان الفضل رجلاً وضيئاً، فوقف النبي ﷺ للناس يُفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئةٌ؛ تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حُسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها فأخلف بيده فأخذ بذقنه النبي ﷺ فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت: يا رسول الله! إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نعم**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «.. **يا معشر النساء! إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركُنّ، لا ترين عورات الرجال من ضيق الأزر**»[(٣)].

• وقال ابن مسعود ﵁: (حفظ البصر أشد من حفظ اللسان)[(٤)].

• وقال ابن مسعود أيضاً: (الإثم حوَّاز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمعٌ)[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢١٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه «البخاري» (٥٨٧٤).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٢٧)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٥٠٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٤٠٤)، والبيهقي في السنن (٢/ ١٦)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (٦١).

(٥) **صحيح موقوف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٠٧)].

• وقال أنس بن مالك ﵁: (إذا مرَّت بك امرأةٌ فغمض عينيك حتى تُجاوزك)[١].

• وقال وكيع بن الجراح -رحمه الله تعالى-: خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد، فقال: (إن أول ما نبدأ به في يومنا غضُّ أبصارنا)[٢].

• وقال بعض السلف: (ومن حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته)[٣].

عباد الله! أدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف تأمر وتحث على غض البصر؛ وذلك لأن إطلاق البصر إلى محارم الله سبب لانتشار فاحشة الزنا.

• قال ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، فهو مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرج أو يكذبه**»[٤].

عباد الله! فالنظرة هي الشرارة الأولى للزنا، وإذا انتشر الزنا في أمةٍ، دمرها وأهلكها.

•قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قريةٍ؛ فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله**»[٥].

---

(١) الورع لابن أبي الدنيا (٧٢). (٢) الورع لابن أبي الدنيا (٦٦).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٧٦).

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٢٣٨)، و«مسلم» (٢٦٥٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٧)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

• وقال ﷺ: «**ما ظهر في قوم الزنا والربا؛ إلا أحلّوا بأنفسهم عقاب الله**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**لا تزال أمتي بخيرٍ ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا؛ فأوشك أن يعمهم الله بعذاب**»[(٢)].

فالنظرة يا عباد الله! سبب لانتشار الزنا، والزنا سبب لخراب العباد ونزول البلاء، ولذلك لما أمر الله بحفظ الفروج، أمر قبلها بغض البصر، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾.

عباد الله! فإذا سأل سائل بما يستعان على غض البصر؟ فالجواب: يستعان على غض البصر بما يلي:

١ - بالزواج.

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء**»[(٣)].

فاتقوا الله يا أولياء الأمور في الشباب، ولا ترفعوا المهور التي منعت كثيراً من الشباب أن يتزوجوا.

٢ - مراقبة الله عز وجل.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٢٥٨)، و«مسند أبي يعلى» (٨/ ٣٩٦)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (٥٦٣٤)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٣)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠٠)].

(٣) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٨٠٦)، و«مسلم» (١٤٠٠).

قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت:٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

وقال رجل لعالم: بمَ أستعين على غض البصر؟

قال له العالم: بعلمك أن الله ينظر إليك قبل أن تنظر إلى المرأة.

٣- تقوى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١].

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**اتق الله حيثما كنت**».

وقال ابن دقيق العيد -رحمه الله تعالى-: «إن التقوى سبب لغض البصر وتحصين الفرج».

٤- بالعلم الشرعي عامة، وبالعلم بأسماء الله وصفاته خاصة؛ فالذي يعلم أن من أسماء الله وصفاته: البصير، ويعتقد بأن الله يراه ويطّلع عليه فإنه يغض بصره؛ استحياءً من الله.

٥- الحياء من الله حق الحياء.

قال ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله. قال: «**ليس كذلك، ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء**»[1].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٥٢)، و«الصغير» (١/ ٢٩٨)، و«مسند البزار» (٥/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١٤١)، [«صحيح الجامع» (٩٣٥)].

ثانياً: ومن حق البصر علينا، أن نغضه عن زخارف الدنيا وزينتها.

استجابة لقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر:٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١].

عباد الله! افتُتن كثير من الناس بالدنيا الفانية، فأخذوا يتنافسون في جمعها، ونسوا الدار الآخرة.

• والله عز وجل يقول في وصف الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد:٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

عباد الله! ورسولنا ﷺ حذّر أمته من الدنيا.

فقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[١].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٧٤٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي، ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»(١).

وقال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنةٌ، وفتنة أمتي المال**»(٢).

فاتقوا الله عباد الله في أبصاركم، وغضوها عن زخارف الدنيا وزينتها.

ثالثاً: ومن حق البصر علينا أن نجعله يبكي من خشية الله.

فالعين التي تبكي من خشية الله لا ترى النار.

• قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة:** -وذكر منها- **عينٌ بكت من خشية الله**»(٣).

• صاحب العين التي تبكي من خشية الله يكون يوم القيامة في ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله، قال ﷺ: «**سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (١٣٩٦)، و«مسلم» (١٠٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٩)، وفي «الأوسط» (٣/ ٣٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٨٠)، [«صحيح الجامع» (٢١٤٨)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤١٦)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٥٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣١)].

(٤) **صحيح**: رواه «البخاري» (٦٢٩)، و«مسلم» (١٠٣١).

والبكاء من خشية الله دأب الملائكة المقربين، والنبيين المعصومين، وعباد الله الصالحين.

قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

وقال تعالى في وصف النبيين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ﴾ [المائدة:٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

ورسولنا ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في البكاء من خشية الله.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ فقال: «**حسبك الآن**» قال: فالتفتُ فإذا عيناه تذرفان[1].

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٣٠٦)، و«مسلم» (٨٠٠).

رابعاً: من حق البصر علينا أن نجعله يحرس في سبيل الله.

فالعين التي تحرس في سبيل الله لا ترى النار يوم القيامة، قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة**»، وذكر منها: «**وعين حرست في سبيل الله**»[(١)].

عباد الله! حراسة البلاد الإسلامية من العدو الخارجي واجبٌ، وحراسة البلاد من العابثين في الداخل واجبٌ، وكل ذلك حراسةٌ في سبيل الله، ومرابطةٌ لمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله، وطلباً للأجر من الله.

ولقد كان النبي ﷺ يُرغّب في هذه الحراسة فيقول ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[(٢)].

وكان ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه**»[(٣)].

والله عز وجل يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠].

عباد الله! ولقد ضرب الصحابة ﭫ أروع الأمثلة في الحراسة في سبيل الله.

• فهذا سعد بن أبي وقاص ﭬ يحرس النبي ﷺ ليلةً كاملةً.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤١٦)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٥٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣١)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٨٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٣٣٧)، ومسند عبد بن حميد (١٤٤٧)، [«صحيح الجامع» (٤١١٢)].

(٣) **صحيح**: رواه «مسلم» (١٩١٣).

-تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَهر رسول الله ﷺ حين مقدمه المدينة ليلةً -وكان ذلك بسبب التهديدات التي تصل إلى المسلمين من كفار مكة، بعد الهجرة- فقال ﷺ: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**».

قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح -أي صوت -سلاح-.

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟».

قال: سعد بن أبي وقاص.

فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**».

قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ، فجئت أحرسُك. فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام»[1].

اللهم فقهنا في ديننا.

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٢٤١٠).

الحق الأربعون

حقُ اليوم الآخر

• **عباد الله!** موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحق الأربعين وهو الحق الأخير في سلسلة الحقوق في الإسلام ... أتدرون ما هو يا عباد الله؟

هو: **حق اليوم الآخر.**

عباد الله: أتدرون ما هو هذا اليوم؟

هو: يوم القيامة، هو: يوم البعث والنشور، هو: يوم الخروج من القبور لرب العالمين، هو: يوم الفصل، هو يوم الحسرة والندامة، هو: يوم الدين ﴿**وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾**﴾.

هو: يوم الحساب، هو: يوم الجمع، هو: يوم الآزفة، هو: يوم التناد، هو: يوم التغابن، هو: يوم التلاق.

اليوم الآخر هو: الساعة، القارعة، الصاخة، الطامة الكبرى، الواقعة، الحاقة.

عباد الله! اليوم الآخر هو: اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم لرب العالمين؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

• اليوم الآخر هو اليوم: الذي ينقسم فيه الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

• **ابن آدم!**

مثّل وقوفك يوم العرض عرياناً	مستوحشاً قلق الأحشاء حيران
والنار تلهب من غيظ ومن حنق	على العصاة ورب العرش غضبان
اقرأ كتابك يا عبد الله على مهلٍ	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كان
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنون في دار الخلد سكانا

عباد الله! اليوم الآخر يوم عظيم، يوم شديد، يقول الله -عز وجل- عن هذا اليوم: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝**﴾ [المطففين:٤-٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝**﴾ [الإنسان:٢٧]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝**﴾ [الحج:١-٢]، وقال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝**﴾ [المزمل:١٧-١٨].

• إن الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان.

قال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه «مسلم» (٨).

• وربط الله بين الإيمان بالله وبين الإيمان باليوم الآخر في مواضع من كتابه.

فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:١٨].

• وأخبر الله -عز وجل- في كتابه أن من كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله .

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

فاليوم الآخر يا عباد الله! يومٌ عظيمٌ، وشأنه في الإسلام كبير، وحقه علينا عظيم.

عباد الله! ومن حق اليوم الآخر علينا:

أولاً: أن نذكره دائماً ولا ننساهُ.

عباد الله! من حق اليوم الآخر علينا أن نذكره دائماً ولا ننساه؛ فالله عز وجل في كتابه يذكّرنا به كثيراً، قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٨-١٩].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥].

عباد الله! الذين يذكرون هذا اليوم هم الذين يستعدون له ويتزودون له، ويتجهزون للوقوف بين يدي الجبار في هذا اليوم، وهؤلاء هم السعداء.

أما الذين نسوا هذا اليوم وكفروا به، ولم يستعدوا له فإن الله -عز وجل- يوم القيامة يعاقبهم بمثل ما فعلوا؛ فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الجاثية:٢٧-٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف:٥٠-٥١].

عباد الله! والذي ينسى هذا اليوم يندم يوم القيامة، في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤﴾ [الفجر:٢١-٢٤].

عباد الله! والناظر إلى كثير من الناس اليوم يراهم عن اليوم الآخر غافلون، فانطبق عليهم قول القائل:

أما والله لو علم الأنام ... لما خُلِقوا لما هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

عباد الله! فالعاقل هو الذي يتذكر اليوم الآخر دائماً ولا ينساه، ويعلم أنه إلى الله راجع، وأمامه موقوف، وعن كل صغيرة وكبيرة مسئول.

- سَأل الفُضيل بن عياض رجلاً وقال له: كم مضى من عمرك؟

قال الرجل: ستون عاماً.

قال الفضيل: منذ ستين عاماً وأنت تسير إلى ربك يوشك أن تصل.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال له الفضيل: أتعرف تفسيره.

قال الرجل: لا.

قال الفضيل: من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علِم أنه موقوف فليعلم أن مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جواباً.

- أيها الظالم! اعلم أنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله.
- أيها المرابي! اعلم أنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله.
- أيها المرتشي! اعلم أنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله.
- أيها الزاني! اعلم أنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله.

ثانياً: ومن حق اليوم الآخر علينا أن نعتقد قُربَهُ.

عباد الله! اليوم الآخر قريب جداً.

قال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء:٩٧]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء:١]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر:١]، وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]،

وقال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم:٥٧-٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج:٦-٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

• وقال ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**»[1]، وقرن بين السبابة والوسطى.

وقال ﷺ: «**كيف أنعم؟! وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته وأصغى سمعه؛ ينتظر حتى يؤمر بالنفخ فينفخ**»[2].

• وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ، ونحن نعالجُ خُصاً لنا.

فقال: «**ما هذا**»؟

فقلنا: قد وَهَى، فنحن نصلحه.

فقال: «**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**»[3].

ومن علامات اقتراب هذا اليوم: كثرة الفتن والزلازل.

---

(١) **صحيح**: رواه «البخاري» (٤٩٩٥)، و«مسلم» (٨٦٧).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٢٤٣)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٩٥)، وفي «الصغير» (١/ ٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٦٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبوداود (٥٢٣٦)، والترمذي (٢٣٣٥)،وابن ماجه (٤١٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٨٩)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٣٥٦)].

ثالثاً: ومن حق اليوم الآخر علينا أن نتزود له.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة:١٩٧].

ابن آدم:

تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

ابن آدم:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟

عباد الله! ونحن في هذه الدنيا في دار العمل فلنتزود فيها بزاد التقوى.

نسير إلى الآجال في كل لحظةٍ ... وأيامنا تُطوى وهن مراحلُ

ولم أر مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعل

تَرحّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

عباد الله! التقوى هي زادنا من هذه الدنيا ليوم القيامة، من أجل ذلك فقد وصى الله عباده الأولين والآخرين بزاد التقوى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء:١٣١].

ووصى النبي ﷺ أصحابه وأمته بزاد التقوى، فقال -في موعظته البليغة التي ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب-: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في «مسنده» =

فبالتقوى يوم القيامة تنجوا من عذاب الله وتمر على الصراط، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

وبالتقوى يا عبد الله تسكن الجنة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم:٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات:١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر:٥٤].

رابعاً: ومن حق اليوم الآخر أن نخافه.

عباد الله! الله عز وجل في كتابه يخوّف عباده من هذا اليوم؛ ليستعدوا له.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر:١٨]، وقال تعالى:

=(٤/ ١٢٦)، والدارمي في «سننه» (١/ ٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٤٨)، [«صحيح ابن ماجه» (٤٠)].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٣-١٨]، وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]

عباد الله! الذين خافوا من هذا اليوم واعتقدوا أنهم راجعون فيه إلى الله، دفعهم ذلك إلى المسارعة في الأعمال الصالحة.

قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٦-٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝﴾ [الإنسان:٩-١٢].

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن سلسلة الحقوق في الإسلام، والتي بدأناها بحق الله تعالى، وختمناها بحق اليوم الآخر الذي يسأل الله فيه العباد عن هذه الحقوق.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

فهرس المحتويات